41 - قوله تعالى : { يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر } أي : في مولاة الكفار فإنهم لن يعجزوا ا { من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم } وهم المنافقون { ومن الذين هادوا } يعني : اليهود { سماعون } أي : قوم سماعون { للكذب } كقوله المصلي : سمع ا لمن حمده أي : قبل ا وقيل : سماعون لأجل الكذب أي يسمعون من الرسول A ثم يخرجون ويقولون سمعنا منه كذا ولم يسمعوا ذلك منه { سماعون لقوم آخرين لم يأتوك } أي هم جواسيس يعني : بني قريظة لقوم آخرين وهم أهل خيبر .

وذلك [أن رجلا وامرأة من أشراف أهل خيبر زنيا وكانا محصنين وكان حدهما الرجم في التوراة فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما فقالوا : إن هذا الرجل بيثرب ليس في كتابه الرجم ولكنه الضرب فأرسلوا إلى إخوانكم من بني قريظة فإنهم جيرانه وصلح له فليسألوه عن ذلك فبعثوا رهطا منهم مستخفين وقالوا لهم : سلوا محمدا عن الزانين إذا أحصنا ما حدهما ؟ فصل : فأرسلوا إلى إخوانكم من بني قريظة فإنهم جيرانه وصلح له فليسألوه عن ذلك فبعثوا رهطا منهم مستخفين وقالوا لهم : سلوا محمدا عن الزانين إذا أحصنا ما حدهما ؟ فإن أمركم بالجلد فاقبلوا منه وإن أمركم بالرجم فاحذروه ولا تقبلوا منه وأرسلوا معهم الزانين فقدم الرهط حتى نزلوا على بني قريظة و النضير فقالوا لهم : إنكم جيران هذا الرجل ومعه في بلده وقد حدث فينا حدث فلان وفلانة قد فجرا أحصنا فنحب أن تسألوا لنا محمدا عن قضائه فيه فقالت لهم قريظة والنضير : إذا وا يأمركم بما تكرهون .

ثم انطلق قوم منهم كعب بن الأشرف وكعب بن أسد وسعية بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن أبي الحقيق وغيرهم إلى رسول ا A فقالوا : يا محمد أخبرنا عن الزاني والزانية إذا أحصنا ما حدهما في كتابك ؟ .

فقال A : هل ترضون بقضائي ؟ قالوا : نعم فنزل جبريل عليه السلام بالرجم فأخبرهم بذلك فأبوا أن يأخذوا به .

فقال له جبريل عليه السلام : اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له .

فقال لهم رسول ا A : هل تعرفون شابا أمرد أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا ؟ قالوا : نعم قال : فأي رجل هو فيكم ؟ فقالوا : هو أعلم يهودي بقي على وجه الأرض بما أنزل ا سبحانه وتعالى على موسى عليه السلام في التوراة .

قال : فأرسلوا اليه ففعلوا فأتاهم فقال له النبي A : أنت ابن صوريا ؟ قال : نعم قال : وأنت أعلم اليهود ؟ قال : كذلك يزعمون قال : أتجعلونه بيني وبينكم ؟ قالوا : نعم .

فقال له النبي A : أنشدك با الذي لا إله إلا هو الذي نزل التوراة على موسى عليه السلام و أخرجكم من مصر وفلق لكم البحر وأنجاكم وأغرق آل فرعون و الذي ظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن و السلوى وأنزل عليكم كتابه وفيه حلاله و حرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على من أحصن ؟ .

قال ابن صوريا : نعم والذي ذكرتني به لولا خشية أن تحرقني التوراة إن كذبت أو غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هي في كتابك يا محمد ؟ قال : إذا شهد أربعة رهط عدول أنه قد أدخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم فقال ابن صوريا : والذي أنزل التوراة على موسى هكذا أنزل ا D في التوراة على موسى عليه السلام فقال له النبي A : فما كان أول ما ترخصتم به أمر ا ؟ قال : كنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد فكثر الزنا في أشرافنا حتى زنا ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنى رجل آخر من الناس فأراد ذلك الملك رجمه فقام دونه قومه فقالوا : وا لا ترجمه حتى يرجم فلان - لابن عم الملك - فقلنا : تعالوا نجتمع فلنضع شيئا دون الرجم يكون على الوضيع و الشريف فوضعنا الجلد و التحميم وهو أن يجلد أربعين جلدة بحبل مطلي بالقار ثم يسود وجوههما ثم يحملان على حمارين و وجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما فجعلوا هذا مكان الرجم فقالت اليهود [لابن صوريا] : ما أسرع ما أخبرته به وما كنت لما أثنينا عليك بأهل ولكنك كنت غائبا فكرهنا أن نغتابك فقال لهم : إنه قد أنشدني بالتوراة ولولا خشية التوراة أن تهلكني لما أخبرته فأمر بهما النبي A فرجما عند باب مسجده وقال : اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه فأنزل ا D { يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر }] .

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد ا بن عمر Bهم قال : إن اليهود جاؤوا إلى رسول ا A فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا فقال لهم رسول ا A : [ما تجدون في التوراة في شأن الرجم ؟] فقالوا : نفضحهم ويجلدون قال عبد ا بن سلام : [كذبتم] إن فيها لآية الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد ا : ارفع يدك فرفع يده فإذا فيها آية الرجم قالوا : صدق يا محمد فيها آية الرجم فأمر بهما رسول ا A فرجما فقال عبد ا بن عمر : فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة .

وقيل : سبب نزول هذه الآية القصاص وذلك [أن بني النضير كان لهم فضل على بني قريظة فقال بنو قريظة : يا محمد إخواننا بنو النضير وأبونا واحد وديننا واحد ونبينا واحد إذا قتلوا منا قتيلا واحدا لم يقيدونا وأعطونا ديته سبعين وسقا من تمر وإذا قتلنا منهم قتلوا القاتل وأخذوا منا الضعف مائة وأربعين وسقا من تمر وإن كان القتيل امرأة قتلوا

بها الرجل منا وبالرجل منهم الرجلين منا وبالعبد الحر منا وجراحتنا على التضعيف من جراحاتهم فاقض بيننا وبينهم فأنزل ا تعالى هذه الآية] .

والأول أصح لأن الآية في الرجم .

قوله : { ومن الذين هادوا سماعون للكذب } قيل : اللام بمعنى إلى وقيل : هي لام كي أي : يسمعون لكي يكذبوا عليك واللام في قوله : { لقوم } أي : لأجل قوم { آخرين لم يأتوك } وهم أهل خيبر { يحرفون الكلم } [جمع الكلمة] { من بعد مواضعه } أي : من بعد وضعه مواضعه ذكر الكناية ردا على لفظ الكلم { يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه } أي : [إن] أفتاكم محمد A بالجلد و التحميم فاقبلوا { وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد ا فتنته } كفره وضلالته قال الضحاك : هلاكه وقال قتاده : عذابه { فلن تملك له من ا شيئا } فلن تقدر على دفع أمر ا فيه { أولئك الذين لم يرد ا أن يطهر قلوبهم } وفيه رد على من ينكر القدر { لهم في الدنيا خزي } أي : للمنافقين و اليهود فخزي المنافقين الفضيحة وهتك الستر بإظهار نفاقهم وخزي اليهود الجزية و القتل و السبي و النفي ورؤيتهم من محمد النار في الخلود { عظيم عذاب الآخرة في ولهم } يكرهون ما فيهم وأصحابه A